من بقايا الاتجاهات القبلية، ومضمون هذا الالتباس هو ان الايديولوجية هي الاساس الوحيد لهذه « الامة » . وتصبح هذه النظرة الاساس النظري لايديولوجية « الاخوان المسلمين » ، والصهيونية ، وسائر الايديولوجيات الفاشية . بالفعل ، فان هذه البنى مرتبطة بالواقع المحسوس ، وبالارض ، وبالحياة الاقتصادية . وتتكون **في اطار هذا الواقع**، وفي اطار البنى الجماعية الاولية الشاملة جماعات ثانوية تميزها ايديولوجية متميزة هي الدين ، دون ان ينفصل هذا الواقع عن البنى الفوقيةالايديولوجية ودون ان يحدث اي تفتيت للثقافة الشاملة . وقد عرضنا في دراسة سابقة كيفية عمل تلك الجماعات الريفية في جنوب المغرب .

يظهر التحليل التاريخي المرتكز على الماركسية ان الشمول يتغلب على الخاصة ، وان الجماعات اليهودية ــ العربية والاسلامية ــ العربية والمسيحية ــ العربية هي **عربية** حين تكون داخل مجتمع **عربي** واحد . ويظهر التحليل التاريخي ان لهذه الايديولوجيات المتميزة علاقة جدلية ببعضها بعضا وبمحيطها . وهكذا تتكون ايديولوجيات ، او ثقافات ثانوية يهودية ــ عربية واسلامية ــ عربية، متميزة ومتكاملة ومنصهرة في ثقافة واحدة هي الثقافة **العربية** (لا يسعني التحدث عن الثقافة الثانوية المسيحية ــ العربية في المشرق العربي ، لانني بنيت بحثي على معرفة الواقع المحسوس في بلاد المغرب. الا ان « الرسالة الى مواطني المسيحيين من اجل نظرة معينة الى لبنان » ، التي نشرها « المنتدى »* في العدد ٢٨ ــ ٢٩ ، « تضع الكنيسة في الشرق الاوسط تحت شعار العروبة » وقد تكون بذلك مثالا على ما يجري هناك) .

وهكذا يتضح موقف لينين في رفضه لمفهوم « الثقافة الوطنية » اليهودية ورفضه تقسيم المدرسة الى أمم وقوميات واقليات قومية من جهة ، ثم ، من جهة اخرى ، احترامه لميزات الجماعات المختلفة (لا تجاهله لها كما تفعل العلمانية البورجوازية) وسماحه مثلا « بتوظيف اساتذة للغة اليهودية وللتاريخ اليهودي بشكل خاص ، الخ ... على نفقة الدولة، وكذلك تخصيص مبنى رسمي للدروس المخصصة للاولاد اليهود او الارمن او الرومانيين وحتى لولد جيورجي واحد » .

وبرنامج فتح يتفق مع هذه النظرة حين يحدد « ان علينا ان نفرق بين نظرية فلسطين كدولة لا طائفية ونظرية الدولة المتعددة الاديان او المزدوجة القوميات . ان فلسطين الجديدة لا يمكن ان تقوم على اساس ثلاثة اديان دولة وقوميتين . ان نظرتنا تعني ، ببساطة ، انعدام التسلط الديني لمجموعة على اخرى وحرية ممارسة الدين دون تمييز » . وكذلك حين يقول بأنه « سيكون لليهود ولغير اليهود الحق في ممارسة دينهم وفي تطوير ثقافتهم ولغتهم . فمن الطبيعي مثلا ان تدرس العربية والعبرية كلتاهما كلغتين رسميتين في المدارس الحكومية لجميع الفلسطينيين من يهود وغير يهود » . وهذا مناقض ، كما نرى ، للعلمانية البورجوازية . ويؤكد النص الذي اشرنا اليه للجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين بأن « التحدث عن ديموقراطية علمانية يرجع بالاساس الى اعتبار الصراع بين اسرائيل والعرب صراعا دينيا ، مما يشكل سقوطا في مهاوي الايديولوجية الرجعية المسيطرة والقبول باحدى فرضياتها الاساسية الخاطئة ، بالاضافة الى ان ذلك لا يحل المشكلة ، ان الديموقراطية الليبرالية لا تشكل ضمانة لحل مشكلة التسلط القومي ، وهي لا يمكن ان تتعدى استبدال تسلط ما بتسلط آخر ، اي استبدال تسلط اليهود بتسلط العرب » .

ان الحل الديموقراطي لا يمكن ان يتحقق الا من خلال نضال ثوري ، وتدمير الدولة الصهيونية لا يمكن ان يتم تلقائيا ، بل يتطلب عملية ثورية تغير جذريا ميزان القوى ضد التفوق الاسرائيلي . ولا يمكن ان يتم ذلك الا عن طريق حرب شعبية طويلة الامد يتكامل فيها النضال ضد الصهيونية بالنضال ضد الامبريالية » .

وبذلك تتضح ايضا تعابير لينين حول « الامة اليهودية » . انه يعني بذلك الجماعة « اليهودية ــ الروسية » لا الشعب (« الاثنية ») كما ينقله « رودنسون » خطأ . فالجماعة هي جزء من الامة الروسية ، كما ان هذا ، بهذا المعنى ، امة افرو ــ اميركية تشكل جزءا من الامة الاميركية ، مما لا يقدم **اي** تبرير لفكرة « الشعب الاسود » .

ب) ان بنى هذه الجماعات ، والثقافات المتأتية عنها تتفتت الى حد ما بتأثير تطور الرأسمالية والسلطة الاستعمارية . لذلك فانها قد تكون اليوم مضمحلة الى حد كبير ــ ان لم يكن كليا ــ في اطار المجتمع الراسمالي الغربي . اما في العالم العربي، فهي ما زالت حية ، وحتى حين تفتتت **ماديا** كما جرى بالنسبة لليهود العرب الذين نقلوا على نطاق واسع الى اسرائيل ، فان الثقافات المقاومة لم